موقف الملا محمد الكويي(مەلای گەورە) من الطرق الصوفية من خلال تفسيره هذا البحث مستل من رسالة ماجستير

أ.م.د.عبداللطيف أحمد مصطفى
جامعة السليمانية / كلية العلوم الإسلامية

نەبەز رمضان قادر
Nabazr43@gmail.com
جامعة السليمانية / كلية العلوم الإسلامية

تاريخ استلام البحث :٢٠٢٤\٧\٢٩ تاريخ موافقة النشر :٢٠٢٤\١٠\٢٧

ملخص البحث

يقدم هذا البحث قراءة تحليلية من خلال رؤية العلاّمة الملّا محمد الكويي، لجملة من الأخطاء والانحرافات، التي وقع فيها بعض الصوفية، وصبغت بصبغة دينية، مع أنها لا تمت إلى الدين بصلة بحال من الأحوال، كرابطة المريد مع الشيوخ، والفهم السقيم لمصطلح كرامات الأولياء، والتعصب الأعمى للشيوخ والتسليم المحض لهم، وغيرها من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، وترتبت على ذلك انحرافات أخرى لا يعلم بخطورتها الا الله، والعجيب أن معظم الصوفية، يظنون أن هذه الانحرافات من القربات، التي يحبها الله ورسوله، وعليها أدلّة واضحة وصحيحة من الكتاب والسنة، لذا فهُم يتمسكون بها ويدينون بها لله تعالى، ولكننا لا نسلم لهم بذلك، وذلك لعدم وجود دليل عليها، فضلاً عن منافاتها للدين والفطرة معاً، وما قدمه هذا العالم الجليل غيض من فيض، وقطرة من بحور خدمته لبني جلدته بدافع الدين والفطرة، ولاشكّ أن من يفتح له قلبه وعقله، ويترك التعصب المقيت والتقليد الأعمى، فسيقتنع لا محالة بكل ما يقول، وذلك بسبب ما يبرهنه من الأدلة الواضحة الساطعة من المعقول والمنقول، لأنه كان ضليعاً فيهما.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، الحمد له أولا وآخرا إذ يمنّ علينا في كل عصر وفي كل مصر بمن يدفع عن الإسلام، تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على هديه، واسْتنّ بسنته إلى يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وبعد:

فإن من نعمة الله أن قيض لهذه الأمة بقايا من أهل العلم من يجدد لها أمر دينها، ومن هؤلاء العلماء الفضلاء، العلامة الملا محمد الكويي، الذي أفنى عمره في خدمة الإسلام والمسلمين، ودافع عن الشريعة الغراء المتمثل في الكتاب والسنّة، وبيّن الأصيل من الدين، وميّزه عن الدخيل من خلال كتبه، فأودع خلاصة ذلك في تفسيره النافع، الذي سماه بـ(تەفسیری کوردی لەکەلامی

خوداوەندی)، ونِعمَ ما فعل، ولما كان هذا الكتاب له قبول عند المتخصصين من أهل العلم، رأيت أن أقوم بدراسة منهج العلامة الملّا محمد الكويي في تفسيره في نقد بعض الصوفيية في هذا الكتاب، وذلك لبيان قليل من الجهد الذي بذله في حفظ الدين.

بما أن العلامة الملا محمد الكويي ذا شخصية فذَّة، وكان عالماً متفنناً، بل مفتياً وقاضياً، وعضواً في مجلس معارف ولاية الموصل، وعضوًا في المجلس التأسيسي العراقي! لذا فمعرفة آرائه في الصوفية وتصحيحه لمسارهم يهمنا كثيرا، لأنه كان عارفاً بواقعه السياسي والاجتماعي، بجوانبه المختلفة، وله كلمته المسموعة لمكانته السامية، لأنه لم يكن مجرد فقيه منفك عن الفكر أو نحويٍّ منعزل عن المجتمع أو أصوليّ بعيدٍ عن الواقع الذي عاش فيه، بل كان عارفا بمقالات المتصوفين وأساطينهم، بناءً على ذلك تظهر أهمية الموضوع فيما يلي:

1- بيان الدعوة الإصلاحية للملّا محمد الكويي، في كافة مجالات الحياة، ومنها محاولته لإرجاع الصوفية إلى الينبوع الصافي للإسلام، المتمثل في الكتاب والسنة، الخالي من الشوائب المتراكبة، جيلا بعد جيل، في عصور متعاقبة.

2- توحيد المسلمين واجب من واجبات الدين، المؤكدة في الكتاب والسنة، وإصلاح الصوفية وطرقهم خطوة لهذا الهدف الأسمى، ولبنة من بناء الأخوة بين الفئات الموجودة في المجتمع الإسلامي، وهذا هو الذي حاول الملّا محمد الكويي فعله إلى حدّ كبير.

3- حاجة العالم عموما، والغرب خصوصا، إلى بديل روحي، وعودتهم من التقنية إلى الروحانية، يطلب منا أن نطرح بديلاً حقيقياً ملائماً للفطرة، وهذا لا يتأتى إلا بتنقية الصوفية وتصفية طرقهم عن العقائد والأفكار الدخيلة، وتربيتهم على الإسلام الحنيف، لأنهم يعتنون عناية كبيرة بالجانب السلوكي الروحي، وإلا لن يتأتى ذلك، بل يسيء إلى الإسلام، ويصدّ النّاس عن الدخول فيه.

سبب اختيار البحث: السبب الوحيد في اختيار الموضوع هو أن الملّا محمد الكويي تكلم كثيرا عن الصوفية وطرقهم، وانتقدهم، والذين تناولوا تراثه وفكره، اهتموا به في مجالات شتى، كالجانب الأصولي والفقهي والكلامي ومجددٍ، أما الجانب النقدي عامة، ونقده الصوفية خاصةً، فلم يتطرق إليه الباحثون فيما أعلم.

حدود البحث: معرفة أقواله وانتقاداته للصوفية وطرقهم، خاصة الذين احتفوا به وعاصروه، وبالذّات أقواله الموجودة في تفسيره، لأنه حصيلة فكره، وزبدة لأبرز آرائه الإصلاحية عامّة، وفي هذا المجال خاصّة.

خطة البحث: اشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وهو على النحو التالي:

المبحث الأول: حياته، ويتكون من مطالب:

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبته.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الثالث: آثاره العلمية ومؤلفاته.

المطلب الرابع: مذهبه ووفاته.

المبحث الثاني: المجالات التي انتقدها الملا محمد الكويي (مەلای گەورە)، ويتكون من خمسة مطالب:

المطلب الأول: مصادر التلقى.

المطلب الثاني: الفهم الخاطيء لمصطلح الكرامة.

المطلب الثالث: الغلوّ في المشائخ الصوفية.

المطلب الرابع: الطاعة المطلقة للمشائخ الصوفية والتسليم المحض لهم.

المطلب الخامس: نقد العرف المخالف للهدي النبوي ﷺ، الرّابطة، أنموذجا.

الخاتمة: تشتمل على أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: حياة الملا محمد الكويي

المطلب الأول: اسمه وكنيته ولقبه

1- **اسمه**: هو الشيخ العلامّة، محمد بن الملا عبدالله، بن محمد أسعد، بن الملا عبدالله، بن الملا عبدالرحمن الجلي زادة، متكلم، فقيه، أصولي، ولد في مدينة كويسنجق(كۆیه)، في أواخر شهر رجب، سنة(1293هـ-1876م)، [عمررضا كحالة، معجم المؤلفين(233/10).] نشأ في حضن أسرته العريقة في العلم والتقوى، في مدينته المعمّرة بالعلم والعلماء.[ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(727/10)]

2- **كنيته**: أبو مسعود، نسبة إلى ولده الكبير، مسعود محمد، المفكر والأديب المعروف.[ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەدی(730/10)].

3- **لقبه**: له ألقاب كثيرة منها: (كمال الدين) كما قاله هو في ختام تفسيره لسورة الناس، و(جەنابی مەلا)، ولكن اشتهر بـ(مەلای گەورە)، وإذا أطلق هذا، لا يتبادر الذهن إلا إليه. [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(730/10)]

4- **نشأته**: عاش الملا محمد الكويي (مەلای گەورە) في كنف أبيه ورعايته، واهتم به أبوه، خاصة بعد وفاة أمه، حينما كان صغيرا، بدأ مسيرته العلمية بقراءة القرآن، والرسائل الفارسية، التي كانت معروفة آنذاك، ثم بعد ذلك درس علوم الآلة والكلام والمنطق والفقه والأصول بعمق، وأخذ الإجازة العلمية من أبيه، وقام بتدريس العلوم الشرعية، لطلاب كثر، وهو في مقتبل عمره، بل أجاز لعدد من الطلاب بحضرة أبيه، وهذا يدل على تبحره في العلوم الشرعية، [الملا عبدالكريم المدرّس، علماؤنا في خدمة العلم والدين(ص:535). وهادي محمد لطيف حمه، العلامة الملا محمد الكويي (مەلای گەورە) وآراؤه في (النبوات) من خلال (التفسير الكوردى لكلام الله)(ص:38)]، وبعد موت والده سنة (1326هـ)، ورث عنه رئاسة العلماء في المنطقة، ثم انتقل إلى الموصل، ونال عضوية مجلس الولاية فيها، كان عضواً في المجلس التأسيسي العراقي ببغداد.[ينظر: الزركلي، الأعلام(245/6). وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين(233/10). والملا عبدالكريم المدرّس، علماؤنا في خدمة العلم والدين(ص:534)].

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه

1- **شيوخه**: للعلامة رحمه الله تعالى شيوخ كُثُر، في كل علم اشتغل به، خصوصا علم الفقه والكلام والمنطق والأصول، درس على يد كثير منهم في عصره، منها: الملاّ عبدالله الجلي(والده)، والسيد الملا محمد أمين (كونەفلوسەیی)، الملا عبدالرحمن گەناوی، الملا حسن(مەلا حەسەن ڕەش)، الملا حامد تالشی، والملا محمد عبدالله(شێخ وەتمان). [ينظر: الملا عبدالكريم المدرّس، يادي مەردان(539/2). والملا عبدالكريم المدرّس، علماؤنا في خدمة العلم والدين(ص:535). وهادي محمد لطيف حمه، العلامة الملا محمد الكويي(مەلای گەورە) وآراؤه في(النبوات) من خلال (التفسير الكوردى لكلام الله)(ص:16-24)]

2- **طلاّبه وتلاميذه** : من الصعب عدُّ طلابه واحصاؤهم، إذ تخرج على يديه علماء كُثُر، ومن طلابه المتميزين: الملا رسول الوساني، وهو أول من أجازه، والملا عبدالحميد العسكري، والملا المعصوم بن الملا خضر(هەورامی)، والملا محمد المدرس، وغيرهم كثير. [ينظر: محمد بن عبدالله الجلي(مەلای گەورە) وجهوده العلمية، د.جواد فقي الچوم حيدي(ص:24). وهادي محمد لطيف حمه، العلامة الملا محمد الكويي(مەلای گەورە) وآراؤه في(النبوات) من خلال (التفسير الكوردى لكلام الله)، (ص:17-23)].

المطلب الثالث: آثاره العلمية ومؤلفاته

ترك ورآءه مؤلفات كثيرة، باللغة العربية والكوردية، نشير إلى بعضها:

1- في علوم القرآن والتفسير: تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(التفسير الكوردى لكلام الله).

2- في العقيدة والكلام : عەقیدەی ئیسلام، القائد إلى العقائد، المعجزات والكرامات.

3- في أصول الفقه: المصقول من علم الأصول.[الملا عبدالكريم المدرّس، علماؤنا في خدمة العلم والدين، (ص:535-536). و د.جواد فقي الچوم حيدري، محمد بن عبدالله الجلي(مەلای گەورە) وجهوده العلمية(ص:70)]

المطلب الرابع: مذهبه، ووفاته

1- **مذهبه**: كان الشيخ رحمه الله تعالى شافعي المذهب، وأشعري العقيدة، مع ذلك تبنى آراء المعتزلة في بعض المسائل العقدية والعلمية، واحترم المذاهب الأخرى. [شيلان جمال محمد، الملا محمد الجلي (مەلای گەورەی کۆیە) وآراؤه العقدية في باب (السمعيات)(ص:32)].

2- **وفاته**: أصيب بقرحة المعدة في الثلاثين من عمره، وأدى إلى وفاته(1943/10/21)، وجاوز عمره السابعة والستين سنة، دفن في مقبرة (دەرویّش خدر) بجوار والده وجده، غفر الله له، وأسكنه فسيح جناته. [ينظر: الملا عبدالكريم المدرّس، يادي مەردان(539/2)، والملا عبدالكريم المدرّس، علماؤنا في خدمة العلم والدين(ص:536)، شيلان جمال محمد، الملا محمد الجلي (مەلای گەورەی کۆیە) وآراؤه العقدية في باب (السمعيات)(ص:21)].

المبحث الثاني:المجالات التي انتقدها الملا محمد الكويي (مەلای گەورە) عند الصوفية:

توطئة: اشتهر الملا محمد الكويي (مەلای گەورە) بشدّته على الصوفيين وشيوخهم في عصره، لأسباب سنذكرها من خلال البحث، ولكن عند التتبع يتضح أنه لم يرفض التّصوّف على الإطلاق، بدليل أنه لم يكن ينكر فضل الشيوخ المشهورين عند الصوفية، أمثال: الشيخ عبدالقادر الجيلاني، ومولانا خالد النقشبندي، بل حتى ابن عربي! ووصف الأخير منهم بالشيخ الأكبر، ومحي الدين، وقال: كان مسلماً، مؤمنا، كاملا، صاحب كشف وكرامات، وقال: نحن نثني عليه، وكان من الأكابر، [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (79/8)]، وقال في مسلك التزكية والسلوك في مجتمعنا الكوردي آنذاك: إننا نتابع النبي العربي ﷺ، ونتّبع محمد ابن إدريس الشافعي، القرشي، في مجال الفقه، وفي التربية الروحية والتزكية، نتبع عبدالقادر الجيلاني العربي، على أساس نسبه الشريف الذي يتصل بآل بيت النبي ﷺ [ينظر: د.عبدالرزاق الكيلاني، الشيخ عبدالقادر الجيلاني(ص:80،79)].

وقد مدح الملا محمد الكويي (مەلای گەورە) مولانا خالد، إذ قال: "كان صالحا متبعا للشريعة"، بل قال: " كان جَدّي مصاباً بمرض مثلي تماما، ولكن بتوجيه مولانا خالد برأ باذن الله! وأنا لم أجد شخصا مثله حتى أشفى كما شفي هو".[مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(70/9)] مما يؤكد على أنه لم يكن خصماً للصوفية على الإطلاق، بل حارب رؤوس المنحرفين منهم وأتباعهم.

وكثيرا ما يمدح (كاك ئەحمەدی شێخ) وأباه الشيخ معروف النودهي، وهما على طريقة القادرية، وذلك في مواضع كثيرة من تفسيره فمثلاً يقول: لو أوجب الله شرب الخمر لم يشربه إلا رجل مثل(كاك ئەحمەدی شێخ)! [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(218/9)] وهذا غاية في المدح والثناء.

إذاً الملّا محمد الكويي رحمه الله تعالى إنما انتقد الانحرافات عند بعض الصوفية، لذا كان من الإنصاف أن نقول: إن موقفه موقف كل عالم ربّاني، وهو لم يخالف هدي العلماء، وله أسوة من سلفنا الصالحين، حين شددوا النكير على أهل البدع والأهواء، حينما انحرفوا عن الحق والصواب.

المسائل التي انتقدها الملا محمد الكويي (مەلای گەورە) على الصوفيين:

المطلب الأول: مصادر التلقى

الواجب في هذا الباب هو أن يكون مصدر التلقي للدين الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، ثم القياس الصحيح، عملا بقولهﷺ: ((تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه))[مالك بن أنس، الموطأ (ص:553)]، وبقوله ﷺ: ((لن تجتمع أمتي على الضلالة أبدا))[الطبراني، المعجم الكبير (447/12). وابن ماجه ،السنن (440/5)]، وعلى هذا سار علماء الإسلام، إلى أن ظهرت انحرافات في هذا الباب من قبل الشيعة والمعتزلة وغيرهما من الفرق الإسلامية، وظهرت كذلك الفرق الصوفية، حيث اعتمد كثير منهم على الإلهام والكشف والمنامات، بتبرير تصفية القلب وتزكية النفس، مخالفة نهج الأنبياء، ويسمونها: العلم اللّدنّي! عِلْماً بأن هذا القول قول بعضهم، لأن الكِبار منهم لا يرون ذلك.

قال تقي الدين السبكي والقاضي الزكريا رحمهما الله تعالى _وهما من أئمة التصوف_: الأصح أن الإلهام غير حجة، لعدم ثقة من ليس معصوما بخواطره، ولأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان فيها، وكذلك رؤيا المنام، فمن رأى النبي ﷺ في نومه يأمره بشيء أو ينهاه عنه، لا يجوز الاعتماد عليه، مع أن من رآه فقد رأى الحق، لعدم ضبط الرائي". [زكريا الأنصاري، غاية الوصول (373/2-374) والعطار، الحاشية على شرح جلال الدين المحلي على جمع الجوامع (398/2)]

وبالنسبة إلى موقف الملّا محمد الكويي من هذه النقطة، فهو ينتقد بعض الصوفية، حينما يزعمون بأنهم يأخذون الدين والهداية مباشرة عن الله سبحانه وتعالى، عن طريق تصفية القلب و تهذيب النفس، وهذا يكفيهم بزعمهم عن أخذ الدين عن طريق ملازمة العلماء! [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (183/9).] وكذلك مقولة :"حدثني قلبي عن ربي" مشهورة ثابتة عند الغلاة منهم، ولاينكرونها [ابن عربي، الفتوحات المكية(57/1). والشعراني، الطبقات الكبرى(61/2). وأبو سعيد الخادمى، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (105/1). وابن الجوزي، تلبيس إبليس(ص:329)]، بل يقولون كما جاء عن أبي يزيد البسطامي: "نحن نأخذ الدين عن الحي القيوم، الذي لا يموت، وأنتم تأخذونه من ميت عن ميت" [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(183/9)] يقصدون علماء الشريعة [ينظر: الشعراني، الطبقات الكبرى(5/1). وابن الجوزي، تلبيس إبليس (ص:286)] وكما ادعى السرهندي بأن مشايخ الصوفية يأخذون العلوم بطريق الإلهام، من الأصل، مثلما كان النبي ﷺ يأخذها من الوحي، وأيده الدوسري بأن علومهم حاصلة من الحق، بلا واسطة! [ينظر: الامام الرباني، المكتوبات (ص:41). وحسين الدوسري، الرحمة الهابطة في ذكر اسم الذات وتحقيق الرابطة (ص:309-310). ومولانا خالد، رسالة في تحقيق الرابطة (ص:12)] وهذا ما يؤكد عليه محي الدين ابن العربي كثيرا في كتبه في غير ما موضع! [ينظر: ابن عربي ،الفتوحات المكية (280/1)]، بل محي الدين ابن العربي يقول: "ما خلق الله أشقّ و لا أشدّ من علماء الرسوم عليهم! وهم لهم مثل الفراعنة للرسل عليهم السلام![ينظر: الفتوحات المكية (279/1)].

وقول هؤلاء الصوفية مردود بصريح قول النبي ﷺ حينما قال: ((يا أيها الناس،إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه))، [الطبراني، المعجم الكبير (396/19). وأبو نعيم، حلية الأولياء (174/305/4). والبيهقي، شعب الإيمان (236/13)]، وقوله ﷺ: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)). [ابن ماجه، السنن (214/1)]، بل الصحابة كلهم أخذوا العلم والميراث النبوي من النبي ﷺ، وبواسطته، ولم يعدل أحد منهم عن ذلك.

بل عمر الفاروق رضي الله عنه ومُحَدَّث الأُمَّة بشهادة النبي ﷺ، لم يَكُ يوما يقول: حدثني قلبي عن ربي، ولا تفوّه به قطعاً، وقد أعاذه الله من ذلك، بل كلّما استشكل عليه أمرٌ، استشار الصحابة رضي الله عنهم، ولم يكن يعتمد على إلهاماته أو ظنونه، ولكن كان يسأل عن سنَّةِ النبي ﷺ إن وجد، وكان يعرض إلهاماته وخطراته على القرآن والسنة، فإن وافقهما أو وافق أحدهما عمل به، وإلا

تركه، بل كتب كاتبه يوماً: "هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر، فانتهره عمر، وقال: امحه، بل اكتب: هذا ما رأى عمر، فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمن عمر" [أبو جعفر الطحاوي، شرح مشكل الآثار (214/9)، والبيهقي، السنن الكبرى (340/20)] فإذا كان عمر الفاروق كذلك، فما الظن بمن لم يدانيه، فضلاً عن أن يشبهه؟! مع أن النبي ﷺ زكّاه في غير ما موضع، فقال:((لقد كان فيما كان قبلكم من الأمم ناس مُحدَّثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر!))[البخاري، الجامع الصحيح (12/5)]، وفي لفظ: ((لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل، رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر))، [البخاري، الجامع الصحيح (12/5)]وقال ﷺ أيضا: ((لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب))، [أحمد بن حنبل، المسند (624/28)، والترمذي، السنن (59/6)]،بل قال ﷺ: ((إن الله جعل الحق على لسان عُمَرَ وقلبه))،[أبوداود، السنن (138/3)] فشتّان بين الفاروق رضي الله عنه، وبين أولئك المنحرفين من الصوفية، المدعين للعلم اللّدنّي. بل الجيل الأول من الصوفيّة، المقيدون بالكتاب والسنة، أنكروا ذلك على الصوفيين المنحرفين، كما قال أبو سعيد الخراز: "إنما العلم بالتعلم والمعرفة بالتعرّف"،[دراسات في التصوف (276)] وقال سَهْل بْن عَبْدِ اللَّهِ التستري: "أصولنا ستة؛ التمسك بالقرآن، ثم الاقتداء بالسنة"، [الذهبي، سير أعلام النبلاء (332/13)] وقال: "ما من طريق إلى اللَّه أفضل من العلم، فَإن عدلت عَنْ طريق العلم خطوة، تهت فِي الظلام أربعين صباحا"، [ابن الجوزي، تلبيس إبليس (ص:418)] وقال الجُنيد: "الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ، واتبع سنته، ولزم طريقته".[أبو نعيم، حلية الأولياء (257/10)].

ومن هذا المنطلق نجد أن قانع الشاعر، رحمه الله تعالى، أيضا انتقد هذا الانحراف لدى الصوفية في ديوانه، فقال ساخرا منهم: "

كه شێخ وەفاتی فەرموو گەیشتە جێی نیهانی شێخزادە ئەو سەعاتە ئەبێتە غەوسی سانی

کەس نایێ بۆ حیساب و کتاب و ئیمتحانی چەسپاوی دەستی غەیبە نەجمە و نیشانی شانی" [قانع، دیوانە (366)]

يعني: حينما هلك الشيخ وبلغ مثواه، أصبح ابنه الكريم، الغوث الثانى في تلك اللحظة، لا يمتحنه أحد ولا يحاسبه، ليعرف معرفته وعلمه بالشريعة، حتى يُجعل خليفة شرعية لأبيه، إن الله سبحانه هو الذي اختاره وثبّته، وجعله سبحانه وتعالى نورا ونبراسا للناس، وهذا من اصطفاء الله تعالى لهم! وأكّد هذا المعنى حين قال:"

وەك بێچوە سۆنە وانە لەگەڵ لەهێلکە دەرچـــــون ئەڕۆنە بەحری بێ پەی ئاوی لێلە یاخود ڕوون

بێ کەسب و بێ نەسیحەت ئوستادی عیلمی غەیبن لەم مەدرەسە موهیمە بەدوو دەقیقە دەرچون"[قانع، دیوانە (366)]

يعني: أمثال أفراخ البطة والأوزة حين يتفقسون من البيضة يمكنهم الذهاب إلى البحر ويسبحون، بدون مساعدة، وبدون التعلم، فهم سادة الناس قاطبة، يعلمون الغيب، بدون عمل عملوه ومشقة عانوه، لقد خرجوا من هذه المدرسة المهمة طرفة عين، للإرشاد وإفادة العباد.

هذا الانحراف تسبب أيضاً بانتشار انحرافات أخرى بين المسلمين، خاصةً التابعين للمشائخ الصوفية، منها تقسيم الدين إلى أقسام ثلاثة: إلى الشريعة والطريقة والحقيقة، وجُعِل هذا جُنَّة لتبرير كل ما يصدر عن المنحرفين من المشائخ الصوفية، من المعاصي والمخالفات الصريحة للدين، فكل ما يرون من شيوخهم، ولو كان معارضا للشرع، حملوه على أحسن المحامل، وعَذَّروهم وانتصروا لهم غاية الانتصار، وإذا اقترف أحد منهم ذنباً وأنكر عليه أحد، قالوا في حق المجرم منهم؛ إنه من أهل الحقيقة فلا اعتراض عليه، وقالوا في المنكِر إنه من أهل الشريعة فلا التفات إليه! يقولون: "الولي إذا تولى لا يُعترض عليه، وكأنّ الله تعالى أنزل دينين، وأنه يحاسب الناس بوجهين، ويعاملهم معاملتين![محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (60/2). وابن تيمية، مجموع الفتاوى (91/13)] ولذلك نجد الشيوخَ المنحرفين منهم، لا يعطون لقب الدرويش أو الخليفة لأحد إلّا بعد أن يمتحنوه، حتى يعلموا ملازمته لهم، وإطاعته العمياء لهم، لئلا يُفشي انحرافاتهم للناس، ويَظهر أباطيلهم.

وهذه التفرقة مردودة حتى عند أئمة الصوفية، قال أبو حامد الغزّالي: "فمن قال إن الحقيقة تخالف الشريعة، أو الباطن يناقض الظاهر، فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان"،[الغزالي، إحياء علوم الدين (136/1)] وخطورة الأمر يكمن فيما إذا قَبِلَ الناسُ ذلك، فسيفتح باب التحريف للطوائف المنحرفة، كالباطنية وأشباههم قديماً وحديثا، ويُجْعَل الدين ألعوبة بِيَدِ الفُسّاق، وينتهي بالمسلم إلى الزندقة، ويشق عصا المسلمين، ويؤدي إلى التفرقة بينهم.

المطلب الثاني: الفهم الخاطيء لمصطلح الكرامة

الكرامة لغة: الكَرامةُ اسم مأخوذ من الإكرام والتكريم، كما وضعت الطاعة موضع الإطاعة، والغارة موضع الإغارة[ابن منظور، لسان العرب(512/12)]، يقال: أكْرَمْت الرجل وكرّمته أعظمته، وهي إيصال الشيء الكريم النفيس إلى المكرم. [ينظر: خليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين(368/5). وابن سيده، المخصص (396/3)]، وفي الاصطلاح: هي أمر خارق للعادة، من قبل شخص غير مقارن لدعوى النّبوّة، وهي كذلك منحة إلهية، يكرم الله بها المتقين من عباده، مكافئة له على سعيه المشكور، ليجعلها وسيلة لهداية بعض الناس وعبرة لآخرين، فإذا لم يكن مقرونا بالإيمان والعمل الصالح، استدراج ومخادعات، وما قرن بدعوى النبوة معجزات. [الجرجاني، التعريفات (ص:184)، والسيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (ص:75). والمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص:281)].

والكرامات للأولياء والصالحين جائزة عقلاً، وواقعة شرعاً، وثبتت بالنصوص الصريحة من الكتاب والسُّنّة، وكذلك أُثِرَ عن الصالحين، مثل ما ذكره الله لمريم عليه السلام، وأصحاب الكهف، وقصة عمر مع سارية، وغيرها كثير، وثبتت بالنظر العقلي أيضاً، وهو قول جمهور العلماء، بل حتى قال أبو تراب النخشبندي: من لا يؤمن بها فقد كفر! وقوله فيه تَجَوُّز، لأن هناك من علماء من أنكره كأبي هاشم الجبائي والقاضي عبدالجبار من المعتزلة ، وكذلك أبو إسحاق الإسفراييني و أبا عبد الله الحسين بن الحسن البخاري من الأشاعرة، وهم من أهل القبلة، ومن علماء أهل الإسلام قطعاً، [ينظر: السيوطي، شرح الكوكب الساطع(844/2).] والذين أثبتوا الكرامات، وضعوا لها شروط وضوابطة شرعية، منها:

1- أن يكون الكرامة موافقة للشرع ولنواميس الكون والسنن الإلهية، وإلا فإن نظام الكون يختل، ويبطل الشرع والدين.[فريد الدين آيدن، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها(ص:180)].

2- ولا يظهرها الولي فخرا وخيلاءً، ولا يتحدى بها، خاصة بين المسلمين، وقد يتحدى الولي بها المنكرين للدين والملحدين، ليظهر صدق النبوة والدّين، وليظهر بأنه صادق في دعوته إلى شريعة النبي ﷺ، عسى أن يهتدوا إلى الحق. [ابن خلدون، المقدمة (ص:588)، أبو إسحاق الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف (ص:72)].

3- بعض العلماء، كأبي إسحاق الإسفراييني، وأبوالقاسم القشيري، والسبكي، اشترط أن الكرامات لا تجوز أن يبلغ مبلغ المعجزات للأنبياء، كإحياء الموتى! ولكن هذا خلاف جمهور العلماء.[ينظر: السيوطي، شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع (845/2). أبو إسحاق الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف (72)]، وقول القشيري السابق له وجه، إذ لا يمكن لأحد أن يأتي بالقرآن، كما بين الله تعالى في قوله: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}[الإسراء:88]، ولعله قصد بقوله ذلك.

أما بالنسبة لموقف الملّا محمد الكويي، فقد انتقد الفهم السقيم لمفهوم الكرامة عند الصوفية، إذ غلا بعض الصوفية في إثباتها، ونسبوا بعض الخوارق لشيوخهم، من الممتنعات، ما لايقبله الشرع والعقل السليم، بسبب الانحراف عن الوسطية ، والبعد عن القيود الشرعية، إذ قال: "خوارق العادات لا علاقة لها بصلاح المرء، ولا بفساده، بل قد يوجد من المنحرفين عن الحق، من يظهر على يديه الخوارق، بل على يد الكفار أحياناً، [أمثال ما نراه اليوم ما يفعله الهندوسيون والبوذيون من الخوارق كأكل النار، وضرب

الجسد بالسكاكين، وأمثال ذلك] كما ذكر قصةً حدث لأبيه مع نصرانيّ، حينما أراد النصراني أن يصلح أرض زراعته في مكان بعيد، فأفسد عليه أبوه بأصبعه، وغضب النصراني، وضربه في مكانه هناك، فقال أبوه لتلميذه التي يدرس عنده آنذاك: إطوي كتابك، فجاءت طينة! واستغرب الطالب! فقال: ما هذا؟ فحكى الوالد له القصة، فقال الطالب: أنت أهل لهذا، فما باله؟ كيف استطاع هذا؟ أجابه فقال: هذا لا علاقة له بصلاح المرء، ولا بفساده، لأنه متوقف على بعض الرّياضات المعنوية، وهي لكل صالح وطالح، لا فرق بينهما.[مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(291/5)]

والأحاديث الصحيحة التي تذكر الدجّال، بأنه يحي الموتي، ويأمر السماء فيمطر، والأرض فينبت، وهو يدعي الألوهية! تؤكّد ما قاله والد العلامة (مەلای گەورە)سابقاً، رحمهما الله تعالى.[ابن ماجه، السنن(530/5)، وابن أبي عاصم، السنن(280/1)]

وفيما يلي أمثلة من الخوارق التي ذكرها الملّا محمد الكويي (مەلای گەورە)، وأنكرها:

1-ذَكرَ قصة تنْسَبُ إلى عبدالقادر الجيلاني، حينما وقع إنكار المعراج في خاطر أحد مريده، لما أراد هذا المريد الغُسل، في طرف الدّجلة، وانغمس في مائه، إذ رفع رأسه فإذا هو في مدينة أخرى، وفي زمن أخرى! فعاش هناك زمناً طويلاً! ولما أراد الغسل في نهرٍ هناك، وغمس نفس فيه، وبعدما رفع رأسه، وجد نفسه في مدينة بغداد، في نفس الزمن السابق! فاستغرب جدا! كيف وقع هذا؟! ولما اجتمع بالشيخ الجيلاني، قال له الشيخ: لا تنكر شيئا من الدين! فتاب المريد! فقال الملّا محمد الكويي في عقبه: كيف يقاس ذلك بالمعراج؟ لأن المعراج حَدَثَ في زمن قليل، من ليلة واحدة، وهذا وقع في أزمنة طويلة! [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (135/7)]

2-حَكىَ عن أحد التابعين للطريقة القادرية، وكان من أقربائه، فقال: "أصابه الحَرّ، ومرض بسببه، وقبل ذلك كان يدعى بأن النار لا تؤذيه كرامة له! فقال: لمّا زُرْته، وكان في بداية برئه، قلت له: أنت تدعي بأن النار لا تصيبك بشئ، وأنت على حالتك هذه! بعدما ذكر ذلك، قال: كل هذا من الانخداع والتلبيسات! [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(145/6)]

المطلب الثالث: الغلوّ في شيوخ الصوفية

الغلوّ لغةً: (الغين واللام والحرف المعتل، أصل صحيح، يدل على ارتفاع ومجاوزة قدرٍ، يقال: غلا في الأمر يغلو غُلَوًّا، أي: جاوز فيه الحد). [ينظر: خليل بن أحمد الفراهيدي، العين (446/4). والجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية (2448/6). وابن فارس، معجم مقاييس اللغة (387/4)].

ومعنى الغلو في اصطلاح الشرع لا يتجاوز معناه اللغوي، وهو: مجاوزة الحدّ، بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق، إلى حَيّز الإسراف. [ابن تيمية، إقتضاء الصراط المستقيم (170/2). والشاطبي، الإعتصام (170/2). وابن حجر العسقلاني، فتح الباري (278/13). والمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص:253)]

ومن المعلوم أن الإسلام، وسط بين الإفراط والتفريط، والغلوّ منهي عنه بنصوص واضحة جليّة، منها ما قال النبي ﷺ: ((هلك المتنطعون))، [مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح (58/8)] بل قاله النبي ﷺ ثلاثا، للتأكيد والتفخيم بعظيم هلاك الغلاة، [أحمد بن عمر القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (700/6)] وهم: المتعمّقون الغالّون المجاوزون الحدود، في أقوالهم وأفعالهم، والمتشددون في غير موضع التشديد، وهلاكهم بأن صُرفوا عن الحق في الدنيا، وبأن يعذبوا في الآخرة، [ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم (221/16)، والنووي، رياض الصالحين (ص:67). وابن حجر العسقلاني، فتح الباري (196/1)] وحذّر النبي ﷺ أشدّ الحذر حين قال: ((إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)) [ابن ماجه القزويني، السنن (1008/2). وأحمد بن حنبل، المسند (298/5)].

وقصة الثلاثة الذين سألوا عن عبادة النبي ﷺ المسنونة، تؤكد ذلك، وكأنهم تقالّوها، وما رضوا بها، فأحدهم قال: أصوم الدهر ولا افطر! وقال الآخر: لا أتزوج النساء! والأخير قال: أقوم ليالي الدّهر كلها! فالنبي ﷺ عاتبهم، فقال: ((ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أُصلّي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس منّي))! [البخاري، الجامع الصحيح (2/7). ومسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح (129/4)].

نرى بأن النبي ﷺ غضب من التشدد والغلوّ، حتى في أمورٍ ظاهِرُهُ خير! لئلا ينحرف المسلم عن الوسطيّة، هذا في أُمُورٍ أصلها مسنونة، فما بال من يغلو ويتطرف فيما لم يشرع أصلاً؟!

ونرى ذلك بوضوح في الذين لم يتركوا الوصال في الصوم بعد نهيهم عنه، أراد أن يشدّد عليهم النبي حتى يَدَعُوا التشدد والتعمق، فقالﷺ: ((لو مدّ بي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم)). [البخاري، الجامع الصحيح (85/9). ومسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح (58/8)].

فإذا كان كذلك، فما الظن في الغلوّ الذي تعلق بالكفر والإيمان؟ فمن البَدَهي أن يكون النهي عن الغلوّ فيه أشدّ، لأن الانحراف في هذا الباب يؤدي إلى الخسران المبين، ومآله الخلود في النار أبد الآبدين، لذا فإن من الواجب على كل مسلم أن يحذر أشد الحذر، من الانحراف في هذا الجانب.

فمثلا: إعطاء صفات الربوبية كالخلق والرزق والتدبير لغير الله، أياً كان، مرفوض ومنهي عنه، بالأدلة المتضافرة المتواترة، في القرآن والسنة، حتى ولو كان هذا الشخص نبيّاً مرسلاً، أو ملَكاً مقرّباً، كتدبير أمور الكون مثلا، وطلب الاستغاثة والاستعانة من غير الله فيما لا يقدر عليه إلّا الله، والاعتقاد بأن هناك من يجلب النفع، ويدفع الضّر غير الله تعالى، لأن هذا من أخص صفات الربوبية لله تعالى.

فلهذا أنكر الملّا محمد الكويي (مەلای گەورە) ألفاظا لبعض الصوفية، التي تنمي إعطاء تدبير الكون والتّصرّف فيه لغير الله تعالى، وأورد بعض العادات المخالفة للتوحيد:

أولاً: تدبير أمور الكون:

1- قال رحمه الله تعالى بأن علي أفندي الأربيلي غفر الله له، قال في حق شيخ علي حسام الدين ابن محمد بهاء الدين ابن الشيخ سراج الدين الطويلي الأول: "هو مكوّر الليل والنهار"! [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(424/9)]، فقال معقباً عليه: "لو كان لديه أدنى معرفة بعلم الفلك ما تجرأ أن يقول ذلك! مات شيخ حسام الدين في الآونة الأخيرة، ونظام الفلك، ودورانها، وذهاب الليل وإياب النهار باقية!" [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (424/9،430).] وقال: "إذا كان هذا قول عالمٍ بالشريعة فما ظنك بالعوام؟" [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(430/9،424)]

بل لو نظر لحديث الكسوف لَمَا قال ذلك، لأنه لما شاع بين المسلمين بأن الشمس كسفت لموت إبراهيم ابن النبي ﷺ، قال النبي ﷺ: ((لا، لم تنكسف لأجل إبراهيم، إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا تنكسفان لموت أحدٍ من الناس ولا لحياته))، [البخاري، الجامع الصحيح (34/2)] لأن ذلك مخالفة للشرع، فضلاً عن مخالفته للعلم والواقع.

قال: "سبحان الله! هؤلاء كما يقولون يأخذون الطريقة للوصول إلى الله كما يزعمون، مع ذلك يقترفون الكفريات بصورة يظنونها عين الإيمان".[مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(424/9)]

2-يذكر أن الشيخ حسام الدين قال لأحد دراويشه يوماً: إمرأتك حاملة بأنثى، فإنّا جعلنا حملها ذكرا! قال الملّا محمد الكويي تعقيباً عليه: "سبحان الله! خلقه الله أنثى فجعله الشيخ ذكراً! سبحان الله هذا شرك ما فوقه شرك"،[مەلای گەورە، تەفسیری کوردی

لەکەلامی خوداوەندی (293/3).] لأن الله تعالى هو وحده الوهاب الذي {يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}[الشورى: 49، 50]

وقد أبطل الملّا محمد الكويي هذا الانحراف وَفَنَّده، حينما ذكر قول الزركشي وابن حجر الهيتمي رحمهما الله تعالى، إذ قالا: بأن النطفة بعد استقرارها في رحم المرأة، لايتغير جنسه، فقال: "حتى شيخ حسام الدين عاجز أن يغير جنسه، على قول هذين العالمين كذلك"،[مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (424،430/9).] بل سخر من هذا الانحراف في مواضع، واستبعده، وشنع عليه، لمخالفته لربوبية الله تعالى. [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(153/5)و(379/2)]

ثانياً: كشف الضّر ودفع الكرب:

1-قال رحمه الله تعالى: "استولى الغرب علينا بسبب تركهم لخرافات التوراة والأناجيل المحّرفة، وتوجّههم إلى العلم والاكتشافات في عالم الطبيعة، مع الأسف أننا لم نستطع أن ندفعهم، بسبب إعراضنا عن العلم، والإقبال على الخرافات والتّرهات، واعتمدنا على غير الله، وطلبنا من الأشخاص أن يعينوننا، دعوناهم يا (ئومەرمەندان) و(خاڵخاڵان) و(پیرۆتە سووری مەرگ) و(پریسی ئەنگوزی)، ولم نجنِ شيئاً، وعُدنا صِفْرَ اليدين، خائبتين"، [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(140/7)] وقال: "لما جاء الإنجليز لحرب الدولة العثمانية، ذهب بعض الناس إلى قبر عبدالقادر الجيلاني، وطلبوا منه المدد والاستغاثة! بغير هوادة" [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (51/9)]، بل قال على لسان أبيه، منكراً على العوام المنحرفين: "لو لم أعرف عبدالقادر الجيلاني رحمه الله تعالى، لكرهته، بسبب ما يفعله بعض من اتبعه زوراً وبهتاناً". [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (190/9-192)

2-حكى قصة فقال: "بينما مرض شيخ علي أفندي، وجرح باطن قدميه جرحاً، دام ثمانية عشر شهراً! عُدْته يوماً، فقال: يقولون بما أني لا أستغيث بالغوث(عبدالقادر الجيلاني)، فلا أبرأ من علّتي، ولا أشفى! قال: إني لا أقول أن الاستغاثة بالأولياء محرّمة، ولكن أقول بأن الله سميع وبصير، فعّال لما يريد، قريب مجيب، لم لا أستغيث به، وأدعو غيره؟ والله! لو دام علّتي، ثمانية أعوام أخرى، لا أدعو غيره سبحانه وتعالى"[مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (504/10،636)] يظهر الغلوّ جليّاً من إنكارهم عليه عدم استغاثته بالجيلاني، مع تجويزه لذلك، فكيف يكون إنكارهم على من لا يجيز ذلك، وعلى من يراه شركاً أكبر؟!

3-وفي مَوْضِعٍ آخر، حكى عن جدّه بأنه لما ذهب إلى المناطق الشمالية، لِبَثِّ العلوم الشرعية، وتوعية من هناك، قال: "كنت في بيت أحدهم، جاء رجل بابنه، فدعوت له بالبركة والعافية، وقلت: حفظه الله وعصمه من كل سوء، فقال لي: لا تقل ذلك! قلت: لم؟ قال: فإني كلّما دعوت الله تعالى أن يرزقني ولداً، لا يبقى لي من شيء، ولكن، حينما طلبت ذلك من الشّيخ، رزقت بولد، وبقي لي كما ترى!" [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (61/3،293)] نسي هذا الرجل بأن الله هو وحده الوهاب، الرّزّاق، لا غير.

ثالثاً: طلب الولد من الشيوخ والمراقد:

1- قال رحمه الله تعالى: هناك مراقد: **كـ**(مامۆستا کەرەم) و(چاکی زایەری) و(مەلا مرادی) و(چنارۆك) و(حاجی ڕەسوڵ)، يذهب النسوة إليهم، ويزورونهم، ويطلبون الأولاد منهم، ويقدمون القرابين لهم، لتحقيق مرادهم! وذكر بأن بعض النسوة اللاتي يطلبن الأولاد، وخاصة الذكور، من قبور صالحين، أو ممن لا وجود له أصلاً، كما في موضع أبيار (بابه گوڕگوڕ) النفطية! قال: "كانوا يأتونه ويقولون: (بابەگوڕگوڕ لەدوور هاتم بۆ کوڕهاتم)أي: يا سيدي جئتك من فج عميق، أطلب ولدا صالحا! مع أنهم لم يعرفوا من هذا المسمى شيئاً، حتى أتى الإنجليز، وأخرجوا منها النفط! فبان للناس جهلهم، وغفلتهم، حتى في وجود شخص فيه، فضلاً عن أن يكون صالحاً !" [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (130/5)].

2- حكى بأن بعض النسوة: يأتون قبراً، يطلبن منه ذُكراناً من الولد، حيث ينزلون من مركبهم، ويمشون على القدم، ويهرولون بعيداً عن القبر، ويقولون: "يا فلان! جئناك نطلب منك ولدا! لا تخيب آمالنا، واكشف عنّا آلامَنا"، [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (130/5)] بل قال: " اشترط بعضهم لتحقيق المراد أن يقفز على وسط القبر سبع مرّات، لأن يحمل ويرزق بالولد"! وقال منكرا ومستهزءاً: "هنيئا لك ياصاحب القبر"! وقال: "وإذا رزق بالولد يقول: رزقني الفلان المبارك! وإذا كانت أفضل من ذلك وأقوى إيماناً، يقول: رزقني الله بشفاعة فلان وبواسطته!" [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(293/3)] أيّ شرك فوق هذا؟ وإن لم يكن هذا شركاً فلا يوجد شرك بتاتا!

3- قال رحمه الله تعالى: أكثر الناس الذين يقال لهم الحاجّ فلان، بدون أن يحجّ، هم الذين زاروا قبر (حاجي ڕەسوڵ)، وكذا سائر الأمصار على منوالهم، بل هناك مرقد باسم: (كەری پیرێژنێ)، في الواد المعروف بـ(دۆڵی صەحابان)، خاص بالأتان والفَرَس التي لا تلد! يذهب إليه أناس يطلبون منه الإنجاب لأتانهم وخيلهم، ويقدمون له شاةً، أو يغرسون عنده عصاً، لحقيق مرادهم! [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(293/3)] .

رابعاً: الغلو في المحبة والتعظيم:

1- قد حكى واقِعَةً مُرّةً فقال: "أرسل الشيخ علاءالدين النقشبندي البياري إلى (ناودەشت) و(ئاکۆیایەتی) صورته الفوتوغرافية، إلى أتباعه ومريديه، ليتشرفوا بصورته الشريفة! حتى لا يحرموا من رؤية صورته المباركة، كما حرموا من رؤيته هو!" [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(38/5)] قال: "بلغني بأن بعضهم كان يقف خاضعاً، قانتاً، لصورته، ويركع مقابله! وعُبِد! [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(38/5)] أنكر ذلك وعنّفه، وعَدَّهُ عبادة لغير الله عزّوجل، فقال: "انتشر عبادة الأصنام بين المسلمين اليوم، وهؤلاء الشيوخ يكفّرون أنفسهم، ومن أطاعهم، بل عبادة قبور الأولياء صار ركناً للدين عند سواد الأعظم"! [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (261/10)] بل قال: الوقوف خاضعاً قانتاً أمام صورةٍ، أياً كانت الصورة، نوع من أنواع العبادة للأصنام، وشدّد النكير عليه فقال: إن لم يكن هذا عبادة للصنم، فماذا إذاً؟ أهذا يحتمل التأويل أيضاً؟! [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(249/8)].

وكذلك، تحامل على كثير من الصوفية والدراوش، الذين إذا سمعوا ذكر الله والقرآن، وأسماء الله، واسم رسوله ﷺ لا يحركون ساكناً، ولا يتأثرون به، كأنه لا يمت إليهم بصلة، ولكن عندما يسمعون اسم شيخ من شيوخهم، يصرخون وينوحون، ويتزلزل أبدانهم، وتقشعر جلودهم وقلوبهم، ولا يملكون أنفسهم، ويبكون، تعظيماً لشيوخهم، ورؤوسهم الدّينيّة. [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (275/10)].

2- قال رحمه الله تعالى: "هؤلاء يلقبون شيوخهم وأوليائهم بـ(قطب العالم) و(غوث الثقلين) و(نوراني) و(صمداني)! سواء كانوا أحياء أو أمواتاً!" [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(262/9)] يقصد بأن هذه الصفات لا تليق إلا بالله تعالى، فهو غوث الثقلين، وهو الذي يقصده الخلائق لدفع الكربات وقضاء الحوائج، وأنه هو الصمد جلّ جلاله لاغير، كما ذكر الله ذلك في سورة الإخلاص، ولهذا قال: " لا يدري المرء ماذا يقول لهؤلاء؟ وكيف يصحح لهم اعوجاجهم هذا؟!"[ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (35/8)]، وهذا كله من غلوّهم فيما لم يأتِ به الإسلام، فضلاً عن أن يُجَوِّزَه، لأنه يترتب عليه العبودية لهؤلاء المشائخ، من الاستغاثة بهم، وطلب الدعاء منهم فيما هم فيه عاجزون، وغيرها من العبادات المحضة، التي لا تنبغي إلاّ لله تعالى. [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (262/9)].

فإذا كان هذا غُلُوّ العوام في مشائخ الصوفية ، فما الظن بغلوّهم في النبي ﷺ؟! فلا شك أن غلوهم فيه أشدّ، فقد ذكر رحمه الله تعالى قولاً لبيان هذا الغلوّ، فقال: "يقولون بأن أحداً من المسلمين، بعدما أُمِر به إلى النار، بسبب ذنوبه الكثيرة، يلتقي بالنبي ﷺ

فيعطيه النبي بطاقة، فيها صلاةٌ واحدةٌ على النبي ﷺ، التي صلاّها هذا الرجل، فيأمره أن يرجع إلى الله سبحانه، فحينما يرجع، يُجعل هذه البطاقة على الميزان، فيطيش بِكِفَّة السيئات، وينجو المسكين! قال رحمه الله تعالى: نعوذ بالله، كيف يَحْدُث ذلك؟ فإن كان له هذه البطاقة لماذا لم يحسب له أولاً؟ ولماذا أُمِر به إلى النار؟ أليس الله بأحكم الحاكمين؟ أليس هذا ظلماً؟ تعالى الله عن ذلك، وإذا أمر الله بأحد إلى النار، فكيف يجرؤ أحد أن يعترض عليه؟ والله يحكم لا معقب لحكمه، ولا رادّ لقضائه. [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (255/8)].

ولهذا لخّص القول في هذا الغلوّ عند هؤلاء بِسطر واحد فقال: "هؤلاء انشغلوا عن الله بالنبي ﷺ"! [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (255/8)] فهذا ينبئك عن غلوّهم، الذي تجاوز كل القيود الشرعية، للفرق بين الخالق والمخلوق، والمعبود والعابد.

المطلب الرابع: الطاعة المطلقة للمشائخ الصوفية والتسليم المحض لهم

من المسلّم عند كل من له أدنى معرفة بالإسلام أن إطاعة الأولياء والصالحين لابد أن تكون شرعيا، وليس على إطلاقه، كما قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}[النساء: 59] فالله سبحانه لم يأمر بإطاعة أولي الأمر بإطلاق، لأن إطاعتهم لابدّ أن يكون تابعا لله ولرسوله ﷺ، وإطاعتهم ليست مستقلة، وهو ما سمي في النصوص الشرعية بـ(المعروف)، وهناك نصوص كثيرة تؤكد ذلك، منها قوله ﷺ: ((إنما الطاعة في المعروف، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.)) [البخاري، الجامع الصحيح (88/9) ومسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح (15/6)] بل الله سبحانه قيّد إطاعة المؤمنات للرسول ﷺ اللاتي هاجرن إلى المدينة، بِقَيْد (المعروف) لترسيخ هذا المبدأ الربّاني، فقال: {وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}[الممتحنة: 12] ومعلوم بالضرورة عندنا، أن النبي ﷺ لا يأمر إلا المعروف، وبهذا ظهر جليّاً أن إطاعة الأولياء والصالحين إطاعةً عمياء، والتسليم المحض لهم، في كل ما يقولون ويأمرون، خلاف القرآن والسُّنّة، وينتج منه انحرافات كثيرة، بل "إطاعة عالم مجتهد، في كل ما يجتهد، خلاف الإجماع، وجوازه فيه ما فيه"! [ينظر: ابن تيمية، الفتاوى الكبرى(555/5)] إذا كان ذلك في حق عالم مجتهد، فما بال شيخ لم يبلغ درجة العلماء، فضلا عن زمرة المجتهدين، من العلماء الراسخين؟!

ومن المهم أن ننبه ههنا أن الإطاعة العمياء، موجودة عند اليهود والنصارى، في أحبارهم ورهبانهم أيضاً! يُروى أن واحداً منهم، أمر راهباً أن يقتحم في نارٍ ملتهبةٍ! فدخلها بدون رَوِيّة، فما لبث أن خرج منها بدون أذى، كما يزعمون! وأُمِر راهبٌ آخر أن يغرس عصاً يابسة في الأرض، ويسقيها حتى تخرج أزهاراً، فامتثل لذلك، فلبث عدّة سنين يذهب إلى نهر بعيد، يحمل منه الماء ليَصُبَّه على العصا، آملاً أن يحصل ذلك، ظلّ المسكين يطوف بين العصا والنهر، حتى بلغ مبتغاه، بعد جُهدٍ جهيد، ومشقة لا يخطر على بال، ولا يتصوّر! إلى غير ذلك من المختلقات المكذوبة. [ينظر: ويليام جيمس ديورانت، قصة الحضارة (122/12)].

بل خضوع العوام للرؤساء الدينية، خضوعا تاما ومطلقا، موجود في الديانات الأخرى، كالتدين الهندي، كما هو مشهود ومعلوم في قديم الزمان وحديثه. [البيروني، كتاب باتنجل الهندي، نقلاً عن: موسوعة الدرر السنية (464/6)].

بالنسبة لموقف الملا محمد الكويي (مەلای گەورە) رحمه الله تعالى من هذا الانحراف، فإنه يؤكد أن بعض الصوفيين، يَقْبَلون من شيوخهم كل شيء، ولو كان مخالفاً للشريعة المحمدية ﷺ، ويعبّر عن ذلك بقوله: "يقبلون كل شيء بدون محاكمة"! [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (143/9)و(184/1)] وهذه الجملة القصيرة، تكفي لبيان انحراف هؤلاء الصوفية، وبيان النّقد الشّديد لدى الملا محمد الكويي (مەلای گەورە)، في ردّ هذه الظاهرة عندهم.

وهذا الذي قاله رحمه الله تعالى، يظهر جليّاً في قول أبي الحسن كما نقله عنه أبو العباس المرسي، حيث يبْلغ الغلوّ به مبلغاً جعله يقول: "لو كُشف عن حقيقة الولي لعُبد"! [الطبقات الكبرى، الشعراني(13/2)]حاول الشعراني رحمه الله أن يجد له

تأويلا صحيحا فقال: إن العبادة هنا بمعنى الإطاعة كما جاء في قوله تعالى:[لا تعبدوا الشيطان] أي: لا تطيعه، فهذا صحيح لو كان النص انتهى فيما سبق تماما، لكن تكملة قوله يبعد هذا التأويل حيث قال: " لأن أوصافه(أي: الولي) من أوصافه! ونعوته(أي: الولي) من نعوته"!، ثم قوله (لعبد) لو كان معناه ليطاع، لقلنا في أي شيء؟ فإن كان شرعيّا فلا مندوحة من قبوله سواء قاله وعمل به هذا الولي أم لا! فإن كان مخالفاً للشرع فلا طاعة حينئذ لمخلوق في معصية الخالق، إذاً فما فائدة العدول عن الألفاظ المُحْكمة إلى ما يحتمل الحق والباطل؟ بل قد يوهم الكفر أو الشرك! وهذا ينبئنا بأن الإطاعة العمياء عند هؤلاء، بلغت أقصى حدها، وينقض ما أوردناه سابقاً، من أن الإطاعة للأولياء، مشروطة بالمعروف، عُرفاً وشَرعاً.

المطلب الخامس: نقد الملا محمد الكويي للرّابطة

قبل البدء بعرض رأي الملّا محمد الكويي حول الرابطة، لابدّ من تعريف مختصر لها في اصطلاح الصوفية.

1- تعريف الرابطة في اصطلاح الصوفية:

لابدّ أن نعرف أن أول من نطق بالرّابطة هو عبيد الله الروحاني المعروف بـ"خواجة أحرار"، [ينظر: مولانا خالد النقشبندي، رسالة في الرابطة (ص:3). وفريد الدين آيدن، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها (ص81)].

وهي: عبارة عن استمداد المريد، من روحانيّة شيخه الكامل، الفاني في الله، بكثرة رعاية صورته، ليتأدّب، ويستفيض منه في الغيبة كالحضور، ويتمّ له باستحضاره الحضور والنور، وينزجر بسببها من سفاسف الأمور، [مولانا خالد النقشبندي، رسالة في تحقيق الرابطة (ص:2)] وهي رابطة القلب مع الشيخ، واستحضار صورته في الذهن! بحضوره وغيابه، لأنّ الشيخ كالميزاب، ينزل الفيض منه! وهي طريقة مستقلة للوصول إلى الله تعالى، وهو آكد الآداب،[ينظر: مولانا خالد النقشبندي، رسالة في الرابطة (ص:9) نقلا عن الشعراني في (الأنوار القدسية في معرفة آداب العبوديّة) بل، إن الشيخ إذا مات، أصبح طليقاً من قيود الجسد، كالسيف المسلول من غمده، وبذلك ازداد تأثيراً، وازداد نفعاً للمريد، [ينظر: الآلوسي، روح المعاني (14/301-302)] وبالتعلق بالشيخ، وتخييل صورته، يهتدي المريد، ويرشد إلى ما لا يعيقه من سيره إلى الله، لأن روحانية الشيخ وحقيقته، غير متحيز بمكان دون مكان، ولا تفارق المريد، وهو محتاج إليها في غياب الشيخ كحضوره، [ابراهيم حلمي قادري، مدارج الحقيقة عند اهل الطريقة (ص:35). ومحمد أسعد البسطامي، تذكرة المريد الطالب المزيد (ص:60). وعبد المجيد محمد الخاني النقشبندي، السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية (ص:12)].

ويظنون أنها أنفع للمريد من الذكر، [عبد المجيد محمد الخاني النقشبندي، السعادة الأبدية (ص:12)] علماً أن هذا مخالف لأحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ حينما قال لأصحابه رضي الله عنهم: ((ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: ذكر الله تعالى)).[الترمذي، السنن (5/320). وابن ماجه، السنن (4/706)]، ولهذا قال معاذ بن جبل عند روايته لهذا الحديث: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله[الترمذي، السنن (5/320).]

2- أدلة إثبات الرابطة:

استدل الذين يؤمنون بالرابطة بأشياء، لا تدل على مشروعيتها، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}[التوبة: 119]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[المائدة: 35]، ولا يخفى التكلّف في تأويل الآيتين، إذ لم يقل بها أحد من المفسرين فيما نعلم، لا من الصحابة الكرام ولا التابعين، ولا الأئمة المتبوعين، بل ولا القدماء من الصوفية، وبمجرّد الرجوع إلى أيّ كتاب من كتب التفسير المعتمدة لدى العلماء، نرى بطلان ماذهب إليه هؤلاء.

واستدلوا أيضاً بقول النبي ﷺ حيث قال: ((المرء مع من أحب))، [البخاري،الجامع الصحيح (2/2)] ولابدّ أن نعرف أيضا، أن الحديث ليس فيه أدني إشارة إلى ما ذهبوا إليه، لأن علماء الحديث حينما شرحوا الحديث، لم يُشِر واحد منهم إلى أن هذا الحديث يدل على مصطلح الرّابطة المزعومة، كما هو معلوم لمن أمعن النظر في أي كتاب من كتب الشروح للأحاديث النبوية ﷺ.

3- أهمية الرابطة عند الصوفية: وفيما يبدو، أن الرّابطة تتطّور، بعدما جاء مولانا خالد النقشبندي، فبناها على شروطٍ عدّةٍ، وجعلها أصلاً من أصول الطريقة النقشبنديّة، ورُكْناً لها، ولأهميتها عندهم كَتَبَ النقشبنديون أصحاب الطريق وأتباعهم نحو ثلاثين رسالة في الرابطة! [ينظر: فريد الدين آيدن، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرِها (117)] وهي عندهم أنفع للمريد من الذّكر، وتحصل بسببها الغيبة، والفناء عن النفس، وقال بندبها حسين أحمد الدوسري في رسالته باسم: [الرحمة الهابطة في اسم الذات والرابطة (ص:12)] بل عَدَّه بعضهم كمصطفى فوزي فريضة من جملة الفرائض التي عددها أربعة وخمسون فريضة، وهي دليل العاشقين، [ينظر: مصطفى فوزي، إثبات المسالك في رابطة السالك (ص:19)، نقلا عن فريد الدين آيدن، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها (ص:68)] ويعدّونها من أعظم أسباب الوصول، بعد التمسّك التامّ بالكتاب العزيز، وسنّة الرسول ﷺ، [ينظر: مولانا خالد النقشبندي، رسالة في تحقيق الرابطة (ص:2). ومحمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة، علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري (ص:313)] بل إنكارها من الحرمان المبين والخسران المتحقق، ومن لم يداوي هذا الداء هلك، ولا يعرف هلاكه لشدة سكره في غفلته. [حسين أحمد الدوسري، الرحمة الهابطة في ذكر اسم الذات والرابطة (ص:12)].

والرابطة عندهم وسيلة، والغاية منها انتفاء الغفلة، ودفع الخطرات، حتى يُقْبِلوا على الله بقلب حاضر، [حسين أحمد الدوسري، الرحمة الهابطة في اسم الذات والرابطة (ص:12)] والغاية منها في الحقيقة، ترويض المريد على تبعيّة الشّيخ، بنفسه وماله، وترغيبه على الاستسلام المطلق لهم، وقولهم: كن بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، تجسيد لهذا المعنى، بل إطاعة المرشد عندهم، من أهم آداب المريد مع شيخه، وهي شرط لكل من يأخذ البيعة منهم، وينخرط في سلكهم. [ينظر: فريد الدين آيدن، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرِها (ص:74)].

بالنسبة إلى الموقف الحاسم للملا محمد من الرّابطة، فهو يرفضها جملةً وتفصيلاً، واتضح موقفه في قوله: "الرابطة عندي عبادة الصنم، وهي شرّ محض، وبسببه نسي العوام الشمائل النبوية، وكثرت عندهم الحكايات حول الرابطة، ومقصدهم بها هدم الدين والدولة، ويخرجون عن الدين باسم الدين! وإلا أين الملّة المحمدية الحنيفية من الرابطة؟" لأن دوام مراقبة الشيخ في قلب المريد، حل محل مراقبة الله، التي بيّنها النبي ﷺ بقوله: ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))، وَقول الله تَعَالَى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}[الحديد: 4][ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(115/10)].

وحُقَّ للعلامة أن ينتقد الرابطة عند الصوفية، لأن تربية المريد في الاسلام ليست بحاجة إلى اختراع وسائل أو طقوسات باسم الدين، لان الدين اكتمل بصريح قوله تعالى[اليوم أكملت لكم دينكم] وإلا فما وظيفة الأنبياء إن لم يبيّنوا الطريق الصحيح للتربية والتزكية؟

العلامة الملّا محمد الكويي عبّر عن الرابطة بالمراقبة في النص المذكور سابقاً، وكلاهما عنده واحد، والله أعلم، بل ذكر أن خزعبلات هؤلاء تسبب بهجر القرآن عند العوام، وآلَ إلى عدم التعلق بالقرآن وقراءته وحفظه، في حين أن النسوة سابقاً، فضلاً عن الرجال، كانوا يحفظون سوراً كثيرة، كسورة: (الكهف، ويس، والدخان، والملك، والواقعة)! فقال: "رأيت عجوزاً بنفسي يغزل النسج ويقرأ سورة يس! وقال: كان السابقون يحتفّون بقبر الميت ويقرؤون ما يحفظون من القرآن، أمّا الآن، ذهب ما تعارفناه من الخير، بما ابتدعه هؤلاء المنحرفون من الصوفية، والدراويش، فلا حول ولا قوة إلا بالله" [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی(176/10)].

وقال: "وبسبب تأملهم عن شكل الشيخ! كثيرا ما يقع الشحناء بين الشيخ من جانب، والمرشد والخليفة من جانب آخر!" [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (115/10)] بل تأسف على المسلمين، أنهم بدّلوا الرابطة الشرعية، وهي الأخوة الإيمانية، بهذا الذي لا مستند له، لا في كتاب الله تعالى، ولا في سنة نبيه ﷺ، ولا فعله خيار الأمة، من الصحابة والتابعين. [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (357/1-358)].

لو تمسك الصوفية بالمراقبة الإلهية القلبية، بدلاً منها، كما تمسك به الأوائل من الصوفية، لكان أولى، [السهروردي، عوارف المعارف (433)] لأن له مستند شرعي، وهو الإحسان الوارد في قول النبي ﷺ: ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)). [مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح (ص:1)].

لم يكتفِ رحمه الله تعالى بنقد الرابطة فقط، بل عبّر عنها بعبارات السخرية والاستهزاء، إذ قال: "أظن أن الذين يصرخون، في حالة الرابطة، هذا نتيجة تصوّر أشكالٍ غريبةٍ وبشعةٍ، التي تخيفهم، ولا يملكون أنفسهم، إذ يصرخون وينوحون!" [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (357/10)] وكذا استهزأ فقال: "يأمرون أتباعهم، بأن يغلقوا أعينهم، ويصوّروا صورة شيخهم المبارك! أمام أعينهم، أنفه مثل أنف التيس، ناتيء الجبين، مشرف الوجنتين، شعره الصفراء، وعينه الزرقاء، وبشرته الحمراء، غائر العينين، غليظ الرَّقبة مثل النير، يصب عليه ظلمات الإبليس! [مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (357/1-358)] قال: أظن بأن صراخهم تأتي نتيجة عن هذا!

وقد ذكرنا سابقا أنه أنكر على الشيخ علاء الدين إرسال صورته لأتباعه، وعابه عليه، بسبب الفتنة التي وقع فيها أتباعه بها، فهذا أيضاً ردٌّ ضمني للرّابطة، لأن الرّابطة، ركنها الرّكين، استحضار صورة الشيخ في الخيال، في الوقت الذي يدخل المريد في الرابطة، بل أشدّ من ذلك، قال رحمه الله تعالى: "أظن أن الوازع النّفسي إلى عبادة الصور والهياكل مازالت قائمة، وتعود إلى أمّتنا الإسلامية، بسبب خيالات الصّوفية والرّابطة! [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (35/8)].

كل ماذكرناه من مظاهر الانحراف، في العقيدة والتوحيد، شاع بسبب انتشار أفكار المنحرفين من الصوفية، وتأثيرهم السّيّء على فطرة العوام وعقلهم، ولهذا قال الملّا محمد الكويي متأسفاً: "هذه الطرق الصوفية مهّدوا طريق الكفر والشرك للمسلمين، بحيث أنهم يظنون أن هذا عين التوحيد والإيمان". [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (780/1)] بل قال رحمه الله تعالى: "خلاصة الكلام، الشرك الذي وقعنا فيه اليوم، والكفر الذي نحن فيه، ما كان في مشركي العرب! حاشا وكلّا " [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (61/3)] بل قال: السواد الأعظم من البشر، يميلون إلى الكفر والشرك، ووجود الموحّد بينهم قليل، ككبريت الأحمر! [ينظر: مەلای گەورە، تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی (353/1)].

الخاتمة

وفي نهاية هذه الدراسة يمكن تلخيص أهم النتائج فيما يلي:

أولاً: لقد اشتهر العلامة الملّا محمد الكويي بموقفه المعارض للصوفية ومنهجهم في التّديّن، غير أن البحث كشف أنه لم يكن رافضاً التصوف وطرقهم بشكل مطلق، إذ نجده يثني على مشايخ الصوفية؛ المتقدمين منهم والمتأخرين، الملتزمين بالسّنة النبوية، ولكن أنكر الانحرافات التي وقع فيها غلاة الصوفيّة فقط، لا غير.

ثانياً: تشدد العلامة الملّا محمد الكويي في موقفه من بعض الطرق الصوفية، كالطريقة النّقشبندية في كوردستان، متأثراً بالممارسات الخاطئة التي قام بها بعض أتباع الشيخ عبدالكريم (شەدەڵە)، والتي عُرِفت فيما بعد بجماعة(هەقە)، وذلك لأن الشيخ عبدالكريم (شەدەڵە) أخذ الطريقة النقشبندية من الشيخ مصطفى ابن الشيخ الرضا العسكري، وهي منقولة إليهم عن طريق الشيخ أحمد سەردار من الشيخ مولانا خالد النقشبندي مباشرة، ولكن العلامة الملا محمد الكويي لم يُصِبْ في تعميم حكمه، لأن الشيخ عبدالكريم(شەدەڵە) وأتباعه انحرفوا عن الطريقة النقشبندية، ولا يمثلون حقيقتها.

ثالثاً: بعض الاعتراضات التي اعترض بها العلامة الملا محمد الكويي الصوفيّة وطرقهم، مبني على روايات وحكايات تفتقر إلى السّند العلميّ الموثّق، مما أدى إلى بناء أحكام جوهريّة لا يمكن قبولها من منظور البحث العلميّ المحايد.

رابعاً: انتقد العلامة الملّا محمد الكويي ظاهرة الغلو في مشايخ الصوفية، خاصة في مفهوم القطب، ورفض إسباغ صفات تضاهي صفات الله تعالى عليهم ، كالعلم المطلق، مستنداً في ذلك إلى نصوص كثيرة من الكتاب والسنّة.

خامساً: رفض العلامة الملّا محمد الكويي قطعياً ما ادعاه غلاة الصوفية من الكشف، كالنظر إلى اللوح المحفوظ، وجَعْلِه مصدراً من مصادر التّلقّي، وذلك لافتقاره إلى الأدلة الشرعية.

سادسا: كان العلامة الملّا محمد الكويي موفّقاً حينما أنكر الفهم السقيم لمفهوم كرامات الأولياء عند بعض الصوفية، لأن بعض الخوارق التي ينسبونها إلى الأولياء، أقرب إلى الممتنعات والمحالات منها إلى الممكنات، ويستحيل وقوعها بأيّ حال من الأحوال.

سابعا: تصدى العلامة الملّا محمد الكويي لظاهرة الغلو في النبي ﷺ، كالاستغاثة به، كما يقوم بها بعض المتصوّفة، معتبراً ذلك انتهاكاً لحقوق الألوهية والربوبية لله تعالى، إذ لا تجوز الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لايقدر عليه إلا الله عزّوجلّ.

ثامنا: رفض العلامة الملّا محمد الكويي مفهوم الرابطة رفضاً قاطعاً، ورأى أنها تُضرّ الإسلام والمسلمين، لأنها مخالفة للهدي النبوي، وبسببها نسي العوام الشمائل النبوية، وقراءة القرآن وحفظه.

فهرس المصادر والمراجع

1-إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي.ضبط نصه وخرج أحاديثه:د.محمد محمد تامر.مؤسسة المختار.القاهرة.ط: الأولى.(1424هـ-2004م).

2-الأعلام،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين.ط: الخامسة عشر.(أيار/مايو2002م).

3-إقتضاء الصراط المستقيم،أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية. المحقق: ناصر عبد الكريم العقل.الناشر.دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.ط: السابعة.(1419هـ - 1999م).

4- ئاوڕدانەوەیەك لەبزوتنەوەی هەقە، مصطفة عسكري، المحقق: محمد ابن عبدالكريم المدرس. مطبعة: علاء. بغداد.(1983م).

5- بزوتنەوەی هەقە لەنێوان دۆستان و نەیارانیدا ،أ.کامران جمال محمد. مطبعة کاردۆ.ط: الأولى.(2019م).
6-تاج اللغة وصحاح العربية،أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. المحقق:أحمد عبد الغفور عطار.الناشر:دار العلم للملايين-بيروت.ط:الرابعة.(1407هـ-1987م).
7-التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي. الناشر:دار الكتب العلمية.سنة النشر:(1400هـ).النشر بيروت.
8-التعريفات،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني. المحقق:ضبطه وصححه جماعة من العلماء.الناشر:دار الكتب العلمية. بيروت-لبنان.ط:الأولى.(1403هـ-1983م).
9-تفسير القرآن الحكيم،للشيخ محمد رشيد بن علي رضا. الهيئة المصرية العامة للكتاب.سنة النشر:(1990م).
10- تەفسیری کوردی لەکەلامی خوداوەندی، مەلای گەورە. ط:الثانية.(2020م)،دار نشر: ڕێنوێن.
11-تلبيس إبليس،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. الناشر:دار الفكر. بيروت-لبنان.ط:الأولى،(1421هـ-2001م).
12-التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري. عالم الكتب.عبدالخالق.يروت-القاهرة.ط:الأولى(1410هـ-1990م).
13-الجامع الصحيح،أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، المحقق:د.مصطفى ديب البغا.دار ابن كثير،اليمامة- بيروت.ط: الثالثة(1407-1987).
14-الجامع الصحيح، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. دار الجيل بيروت-دار الأفاق الجديدة- بيروت.
15-الجامع،أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك،الترمذي. المحقق:بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي-بيروت(1998م)
16-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني. الناشر:السعادة-مصر.(1394هـ-1974م).
17-دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير. دار الإمام المجدد.ط:الأولى(1426 هـ-2005 م).
18-ديوان،قانع. دار نشر: پانیز.ط:السادسة.(2005م).
19-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي. المحقق: علي عبد الباري عطية.ط:الأولى.(1415هـ). دار الكتب العلمية- بيروت.
20-السنن،ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. المحقق:محمد فؤاد عبد الباقي.الناشر:دار إحياء الكتب العربية-فيصل عيسى البابي الحلبي.
21-السنن،أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني. المحقق:محمد محيي الدين عبد الحميد.الناشر:المكتبة العصرية،صيدا-بيروت.
22-سيرأعلام النبلاء،محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين الذهبي. المحقق:مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ:شعيب الأرناؤوط.الناشر:مؤسسة الرسالة.ط:الثالثة(1405هـ-1985م).
23-شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع،عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين جلال الدين السيوطي. المحقق:د.محمد إبراهيم الحفناوي.دار السلام.

24-شرح صحيح مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. الناشر:دار إحياء التراث العربي.بيروت.ط:الثانية.(1392هـ).
25-الشيخ عبدالقادر الجيلاني،د.عبدالرزاق الكيلاني. مكتبة التفسير.ط: الأولى.(1424هـ-2003م).
26-العلامة الملا محمد الكويي (مەلای گەورە) وآراؤه في (النبوات)من خلال (التفسير الكوردى لكلام الله) هادي محمد لطيف حمه. رسالة ماجستير،هادي محمد لطيف حمة،بإشراف أ.م.د.ئاراس محمد صالح،(2016).
27-علماؤنا في خدمة العلم والدين،للعلامة الملا عبدالكريم المدرّس،. دار الحرية للطباعة –بغداد،ط:الأولى.
28-عوارف المعارف،عمر بن محمد بن عبد الله ابن عمويه، أبو حفص شهاب الدين القرشي التيمي البكري السُّهْرَوَرْدي. المحقق:أ.د.أحمد عبدالرحيم سايح،المستشار توفيق علي وهبة.مكتبة الثقافة الدينية.ط:الأولى.(1427هـ-2006م).
29-العين،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. المحقق:د مهدي المخزومي،د إبراهيم السامرائي.الناشر: دار ومكتبة الهلال.
30-فتح الباري،أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه:محمد فؤاد عبد الباقي.قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه:محب الدين الخطيب.عليه تعليقات العلامة:عبد العزيز بن عبد الله بن باز.دار المعرفة-بيروت.(1379هـ).
31-قصة الحضارة،ويل ديورانت. ترجمة:الدكتور زكي نجيب محمُود.تقديم:الدكتور محيي الدّين صَابر وآخرين.دار الجيل،بيروت-لبنان.المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.(1408هـ-1988م).
32-لوافح الأنوار الأخيار المسمى بـ (الطبقات الكبرى) ، أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفي الشَّعْراني. مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه.مصر.(1315هـ).
33-مجموع الفتاوى، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية. المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.الناشر:مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،المدينة النبوية.(1416هـ-1995م).
34-محمد بن عبدالله الجلي (مەلای گەورە) وجهوده العلمية، د.جواد فقي الچوم حيدي. ط: الأولى.أربيل.مطبعة التفسير.
35-المخصص،أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي. المحقق: خليل إبراهم جفال.دار إحياء التراث العربي-يروت.ط:الأولى.(1417ه-1996م).
36-المسند،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. المحقق: شعيب الأرنؤوط،عادل مرشد،وآخرون.بإشراف:د.عبد الله بن عبد المحسن التركي.مؤسسة الرسالة.ط:الأولى.(1421ه-2001م).
37-معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق. مكتبة المثنى-بيروت.دار إحياء التراث العربي-بيروت.
38-معجم مقاييس اللغة،أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين. المحقق: عبد السلام محمد هارون.الناشر:دارالفكر.عام النشر.(1399هـ-1979م).
39-المقدمة،عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي. المحقق: حامد أحمد طاهر.دار الفجر للتراث.ط: الثانية.(1434هـ-2013م).
40-الملا محمد الجلي (مەلای گەورەی کۆیە) وآراؤه العقدية في باب(السمعيات)،شيلان جمال محمد. دراسة موضوعية،رسالة ماجستير.شيلان جمال محمد،بإشراف أ.م.د. ئاراس محمد صالح(2016).

41-هداية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي،(1951م). الناشر:وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول.دار:إحياء التراث العربي،بيروت–لبنان.

فهرس المحتويات

ملخص البحث 421
المقدمة 421
المبحث الأول: حياة الملا محمد الكويي 423
المطلب الأول: اسمه وكنيته ولقبه 423
المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه 423
المطلب الثالث: آثاره العلمية ومؤلفاته 423
المطلب الرابع: مذهبه، ووفاته 424
المبحث الثاني:المجالات التي انتقدها الملا محمد الكويي (مەلای گەورە) عند الصوفية: 424
المطلب الأول: مصادر التلقى 425
المطلب الثاني: الفهم الخاطيء لمصطلح الكرامة 427
المطلب الثالث: الغلوّ في شيوخ الصوفية 428
أولاً: تدبير أمور الكون: 429
ثانياً: كشف الضّر ودفع الكرب: 430
ثالثاً: طلب الولد من الشيوخ والمراقد: 430
رابعاً: الغلو في المحبة والتعظيم: 431
المطلب الرابع: الطاعة المطلقة للمشائخ الصوفية والتسليم المحض لهم 432
المطلب الخامس: نقد الملا محمد الكويي للرّابطة 433
الخاتمة 435
وفي نهاية هذه الدراسة يمكن تلخيص أهم النتائج فيما يلي: 435
سابعا: تصدى العلامة الملّا محمد الكويي لظاهرة الغلو في النبي ﷺ، كالاستغاثة به، كما يقوم بها بعض المتصوّفة، معتبراً ذلك انتهاكاً لحقوق الألوهية والربوبية لله تعالى، إذ لا تجوز الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لايقدر عليه إلا الله عزّوجلّ. 436
فهرس المصادر والمراجع 436

پوختەی تویژینەوە

ئامانج لە توێژینەوەکە قسەکردنە لەسەر ڕوانین و بیرو بۆچونی مەلای گەورە سەبارەت بە تەریقەتە سۆفییەکان، بەتایبەت ئەوانەی لەو کات و ساتەدا لەدەوروبەریدا بوون، وەك:تەریقەتی نەقشبەندي و تەریقەتی قادری و بزوتنەوەی(هەقە)، لەبەرئەوەی مەلای گەورە یەکێکە لە زانا گەورەکانی ئیسلام و یەکێکە لەناوداره هەڵکەوتووەکانی ناو کورد، بەهۆی ئەو پێگە زانستی و جێکەوتە کۆمەڵایەتیەوە کە هەیبووە، زانینی ڕاوبۆچونەکانی نرخی تایبەتی خۆی هەیە، بەتایبەت لە ڕاستکردنەوەی ئەو لادان و هەڵانەی هەندێك لە شوێنکەوتوانی ئەو تەریقەتانە تێیکەوتون ودرێژەشی کێشاوە تا ئەمڕۆ، وەك: هەڵە تێگەیشتن لە کەراماتی ئەولیا و داهێنانی زاراوەی ڕابیتەی شێخ و زیادەڕەوی کردن لە خۆشویستن و بەگەورە دانانی پیاوچاکاندا، بەجۆرێك هەندێك کات سیفەتی پەروەردگارێتی خودایان پێدراوە، بەڵام لەبەرگێکی تردا و بەڕەنگێکی تر، کە هەموو سنوورەکانی شەرعی تێپەڕاندووە، گرنگی بابەتەکە لەوەدایە مەلای گەورە هەوڵی داوە ئەو هەڵە و لادانانە بەبەڵگەی ئەقڵی و نەقڵی ڕوونبکاتەوە، بەشێوەیەك کە هەر مسوڵمانێکی بەویژدان، ئەگەر دەمارگیری و تەقلید ڕێی لێ وێڵ نەکات و گوێی دڵ و ئەقڵی بۆ بکاتەوە، دەیگەیەنێتە کەناری دڵنیابون، ئەم هەنگاوەی مەلای گەورە یەکێکە لەو خزمەتە گەورانەی کە کردویەتی بە کۆمەڵگەی کوردی، بەهەردوو پاڵنەری کوردبون و مسوڵمانبون پێکەوە، وە ئەوە جەخت دەکاتەوە کە شۆڕەتی مەلای گەورە نازناوێکە پڕبەپێستی ئەم کەڵە زانایە.